

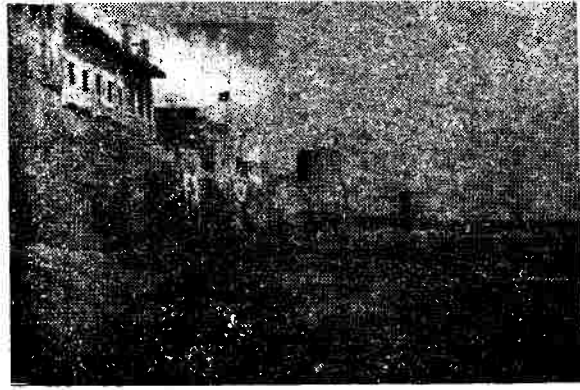
كنت في القطيف ...

وتقع القطيف على ساحل البحر في بقعة غاية في الخصوبة غنية بالمياه ، ويبلغ عدد سكانها حوالى خمسين ألف نسمة أغليتهم الساحقة من الشيعة ، وعلمهم الرئيسى فى زراعة النخيل والخضر والفاكهة .

وأنت إذ تقدم المدينة من البر ، يخيل إليك وقد هلت عليك تباشير مزارعها ، أنك قادم على جنة فيحاء وروضة يانعة ، ولكنك ما إن تبدو لك المدينة ذاتها حتى تصطدم بالحقيقة المرة فى حياة هذا البلد البائس .

إن هذه المدينة عريقة فى القدم ولا شك . ولا تحتاج لى تدرك ذلك أن تقرأ فى التاريخ شيئاً عن ماضيها وأنها كانت منذ القدم مصدراً للتجارة والزراعة ومركزاً للبلاحة

بل يكفى أن تلقى نظرة على نظام بنائها ودرجة العمران فيها ونوع الحياة الاجتماعية التى يحياها سكانها بالنسبة للعالم الخارجى لى تعلم أن هذه البلدة لاتزال تعيش فى طيات التاريخ من العصور المظلمة .



سور القطيف كما يبدو من الخارج

أردنا أن نجول جولة سريعة بسيارتنا فى شوارع المدينة ، ولكن أصغر سيارة لاتستطيع المرور فى تلك المسارب الضيقة ، ولذلك تركنا سيارتنا خارج القلعة ، وترجلنا . والقلعة سور يحيط بالمدينة كلها . ولبناء هذا السور قصة تروى ؛ فى العهد العثمانى كان الأمن مختلفاً فى هذه الأنحاء ، وكانت القبائل تغير على المدن ، وخشى أهل القطيف غارة أعدائهم عليهم فأبتنوا حول المدينة سوراً محاذياً لحدود منازلهم . ثم نمت المدينة وتكاثر السكان ، ولكن الخوف من الأعداء لا يزال باقياً ، فاضطروا إلى التوسع داخل السور فضاقت الشوارع شيئاً فشيئاً ثم سقفوا أغلب الشوارع حتى غدت جحوراً مظلمة .

لم تكن زيارتنا للقطيف مقصودة فى ذاتها ، وإنما كانت الرحلة معقودة لجزائر البحرين لحسب ، وفى البحرين خطر لنا أن نزور منابغ البترول فى المملكة العربية السعودية ، ويجمع هذه المنابغ بالقطيف ساحل واحد هو ساحل الاحساء . وركبنا من مرفأ المنامة قارباً بخارياً قطع بنا المسافة إلى ميناء الخير . فى ثلاث ساعات . وهذا الميناء هو مركز التزويل لمعدات شركة الزيت العربية الأمريكية وهى مدينة رملية ناشئة لم تكن قبل عدة سنوات شيئاً مذكوراً فى هذا الساحل من الخليج ، وتبعد منابغ البترول عنها مسافة ٢٥ دقيقة بالسيارة ، حيث تقوم مدينة الظهران الحديثة ، بحيا الأمريكى الفخم ومخيمات عمالها

المتعددة وروح الحركة الدائبة فيها والحياة النابضة فى هذه الصحراء التى نقلها من الموت إلى الحياة ذلك الذهب الاسود الذى يتدفق من أعماقها .

واستقلنا فى صباح اليوم التالى لوصولنا للمملكة السعودية السيارة إلى القطيف وفى طريقنا إليها مررنا

بمدينة الدمام التى تبعد عن الخبر مسافة نصف ساعة بالسيارة وهى مقر الإمارة لمنطقة الظهران ، وأغلب سكانها من قبيلة الدواسر التى نزحت من البحرين منذ حوالى ٣٠ سنة أثر ضميم وقع عليها ، والدمام مدينة لاتزال فى أول أطوار نموها ، وينتظرون لها مستقبلاً طيباً بالنسبة لوجود شركة الزيت حولها . وبعد أن غادرنا الدمام ، لم يبق علينا لى فصل إلى القطيف إلا أن نقطع أربعين دقيقة نمر خلالها ببعض القرى الصغيرة ، أهمها قرية « سهات » ومضارب بنى خالد ، ونكابد وعورة الطريق الذى لاتمر عليه سيارات شركة الزيت ولذلك لم يعبد ، حتى يبدو نخيل القطيف الباسق وبساتينها الملتفة . .



أحد شوارع القطيف . داخل القلعة وهي المدينة القديمة

وأنه يستطيع أن يحيا حياة محترمة إذا استطاع أن ينظم شئون نفسه ، فيقضى على أوكار الجرائم ويعيش في مساكن صحية ، ويعالج نفسه مما يحل بها من مرض ويردم تلك المستنقعات التي تتربى فيها حشرات الملاريا الفتاكة . . ولكن كم يؤسفني أنه ليس في القطيف مدرسة واحدة على النظام الحديث ، بل هي كتاتيب لا تقدم ولا تؤخر في خلق عقلية جديدة ناقدة .

وإلى جانب ذلك تحتاج القطيف إلى بلدية تحمل معولا جباراً تعمله في تلك « القلعة » هدماً ، وتضع نظاماً خاصاً للبناء يتفق مع البيئة في البلاد . فلقد ضاق السور منذ سنين عمن فيه وأخذت البلدة تتسع إلى خارجه ولكنه اتساع عشوائى لا نظام فيه ولا هندسة .

ودلفنا إلى سيارتنا بقلوب مفعمة بالحسرة على هذا الغنى المهمل وهذا البلد المضيع ، وعندما أخذت السيارة طريقها خلال بساتين النخيل إلى « الخبر » تذكرنا مثلاً شائعاً في الكويت والبحرين يقول « إذا كمنت رجلاً فاذهب إلى القطيف ! » ، حقاً إن في الذهاب إلى القطيف رجولة لا يجدها كل إنسان ؟ . .

(ع.ح)

انشروا إعلاناتكم في (البعثة)

تضمنوا لبضاعتم الرواج

وتنبعث إليك وأنت تسير في هذه الطرق روائح تزكم الأنوف ، من فتحات عن يمينك ويسارك ، فان أحباب البيوت يأبون إلا أن تكون أفضلاتهم مخازن على الطرق ، تكون مسرحاً للذباب والناموس ومبعثاً للجراثيم والأمراض .

وهكذا يتكالب الجو الرطب والشوارع الضيقة والأقذار المتراكمة والذباب والناموس على تكوين بيئة موبوءة تشيع فيها الملاريا في أغلب أيام السنة ، فلا ترى إلا وجوهاً صفراً وأجساماً خائرة ، وتنظر إلى الأطفال ، وهم عدة البلاد وأمل المستقبل فإذا هم منتفخة بطونهم من تضخم الطحال . . وشكوى السكان قليلة لأن أغليبتهم لم يألفوا إلا مثل هذا العيش ، أما المتذمرون فإن أصواتهم لا تبلغ آذاناً صاغية ولا يسمع لها صدى يذكر .

وليس هناك — للأسف الشديد — أى مجهود ذى بال يبذل لعلاج هذه الحال ، ونحن في القرن العشرين ، عصر المدنية والنور ، في مدينة تشيع فيها الأمراض كهذه ، ليس هناك مستشفى لعلاج المرضى وليس فيها طبيب إلا طبيب واحد يضيق في هذا الحظ من المرض وفي هذا العسر من الأدوية . .

ولقد يكون لدينا أمل قريب في تغيير هذه الحال ، لو أن هناك أملاً في تعليم سريع لهذا الشعب حتى يستطيع أن يدرك أنه يعيش عيشة غير لائقة في أرض تدر الزهـب ،



مدخل بساتين القطيف